بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى:

«إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أَيُّها الذينَ آمنوا اتَّقُوا الله حقَّ تُقاتِهِ ولا تَمُوتُنَّ إلاَّ وأنتُم مُسلِمونَ﴾.

﴿يا أَيُّها النَّاسُ اتَّقوا ربَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُم مِنْ نَفْسٍ واحدةٍ، وخَلَقَ مِنها زَوْجَها وبثَّ مِنهُما رِجالاً كثيراً ونساءً، واتَّقوا الله الَّذي تساءَلُونَ بهِ والأرحَام إنَّ الله كانَ عليكُم رقيباً﴾.

﴿يا أَيُّها الَّذينَ آمنوا اتَّقُوا الله وَقُولوا قولاً سديداً، يُصْلِحْ لكُم أعمالَكُم ويَغفِرْ لكُم ذُنُوبكم وَمَن يُطِعِ الله ورسولَهُ فَقَدْ فازَ فوزاً عظيماً﴾»[1].

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه، وكان السلف يفتتحون بها خطبهم في دروسهم وكتبهم، ولي فيها رسالة لطيفة جمعت فيها طرق حديثها وألفاظها، وذكرت فيها فوائد تتناسب مع موضوعها، وقد طبعت قريباً على نفقة جمعية التمدن الإسلامي بدمشق، ثم طبعها المكتب الإسلامي طبعة ثانية جميلة؛ مزيدة ومنقحة.

أما بعد، فإن كتاب «فقه السنة» للشيخ سيّد سابق من أحسن الكتب التي وقفت عليها مما أُلِّفَ في موضوعه، في حُسن تبويب، وسلاسة أُسلوب، مع البعد عن العبارات المعقدة التي قلما يخلو منها كتاب من كتب الفقه، الأمر الذي رَغَّبَ الشباب المسلم في الإقبال عليه والتفقه في دين الله به، وفتح أمامهم آفاقَ البحث في السنة المطهرة، وحفزهم على استخراج ما فيها من الكنوز والعلوم التي لا يستغني عنها مسلم أراد الله به خيراً كما قال ﷺ: «مَنْ يُرد الله به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدين»، متفق عليه، وهو مخرج في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١١٩٤).

ولقد كان صدور هذا الكتاب ـ فيما أرى ـ ضرورة من ضرورات العصر الحاضر؛ حيث تبيَّنَ فيه لكثير من المسلمين أن لا نجاة مما هم فيه من الانحراف والاختلاف والانهيار وتغلُّبِ الكفار والفساق عليهم إلا بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، يأخذون منها فقط ومن القرآن أمور دينهم ومسائل فقههم، فكان لهذا لا بد لعامتهم من مصدر قريب التناول، يمكن الاعتماد عليه، والرجوع إليه حين يقتضيهم الأمر، ويغنيهم عن المراجعات الكثيرة في الموسوعات العديدة من أجل مسائل قليلة أو كثيرة. فكان أن ألهم الله تعالى الأستاذ السيد سابق فأخرج لهم هذا الكتاب «فقه السنة» فقرَّب لهم الطريق وأنار لهم السبيل جزاه الله خيراً. .

من أجل ذلك كنت ولا أزال أحض على اقتنائه والاستفادة مما فيه من السنة والحق ـ ومنذ صدور الجزء الأول منه من الحجم الصغير القديم ـ كلَّ راغب في السنة وناصر للحق، حتى انتشرت نسخه بين صفوف إخواننا السلفيين وغيرهم في دمشق وغيرها من البلاد السورية وغيرها، فكان من نتيجة

ذلك أن توجَّهت إلي منهم أسئلة كثيرة، عن غير قليل من المسائل والأحاديث الواردة فيه، فكنت أجيبهم عنها بما أعلمه، وكثيراً ما كان الجواب مخالفاً لما في الكتاب، فقد كنت أُضَعِّفُ كثيراً من أحاديثه، وأُخَطِّىء عديداً من مسائله، فلما رأى ذلك بعض الغيورين على فقه السنة والحريصين على نشرها صحيحةً بين صفوف الأمة اقترحَ عَلَيَّ أن أسجِّل ما آخذُه على الكتاب وأنشره بين الناس، فاعتذرت عن ذلك أول الأمر، ثم لما تكرر الطلب فيه، وألحَّ به كثير غيره رأيت أنه لا بد من إجابة طِلبتهم وتحقيق رغبتهم، لما في ذلك من خدمة للكتاب، بل الفكرة التي يحملها ويدعو الناس إليها وهي «جمعهم على الكتاب والسنة، والقضاء على الخلاف وبدعة التعصب للمذاهب . . .» كما صرح في مقدمته.

وعلاوة على ذلك ففيه تنزيه للكتاب مما وقع فيه من الأخطاء الفقهية والأحاديث الضعيفة التي يتنافى وجودها مع «فقه السنة»، وبهذا أكون قد حَقَّقْتُ شيئاً من الرغبة التي كان أبداها للطرفين أحد إخواننا لمّا ذهب إلى مصر، وهي التعاون في سبيل الفكرة المذكورة عن كثب وقرب، ولكن حال دون ذلك عدة أسباب؛ أهمها: بعد الدار، وتعذر اللقاء، فإذ قد فاتني ذلك؛ فلا أَقَلَّ من التعاون فيها عن بُعد؛ لأنه كما قيل: ما لا يُدرك كلُّه لا يُترك جلُّه..

فلما شرح الله لذلك صدري، واطمأن له قلبي شرعت في قراءة ما صدر من أجزاء الكتاب قراءة إمعان وتدبر، فكنت كلما تبين لي منه شيء يستحق ذكره والتنبيه عليه سجلته عندي وعلقته في وريقاتي، فما أن انتهيت من التعليق عليها حتى تأكد لدي ضرورة ما صنعت، ذلك لأنني وقفت فيها بعد

هذه الدراسة على أخطاءٍ كثيرة، بعضها مهمة جداً، ما كنت أتصوّر وجودَها فيها، ولذلك فإنّي رأيت أنه لا بد من بيانها، وقد وفق الله لذلك وله الحمد والمِنّة.

ولعل من الفائدة أن أشير إلى نوع تلك الأخطاء بصورة مجملة، ليأخذ القارىء عنها فكرة عامة، فتتبين له أهمية هذا التعليق، فأقول:

يمكن حصر هذه الأخطاء على وجه التقريب فيما يلي:

١ ـ أحاديث كثيرة سكت المؤلف عليها وهي ضعيفة.

٢ ـ أحاديث أخرى قوّاها؛ وهي عند التحقيق واهية.

٣ ـ أحاديث ضعّفها، وهي صحيحة، أو لها أسانيد أخرى صحيحة.

٤ ـ أحاديث ينسبها لغير «الصحيحين»، وهي فيهما أو في أحدهما.

٥ ـ أحاديث يعزوها لأحد «الصحيحين» وغيرها ولا أصل لها فيهما.

٦ ـ أحاديث يوردها ولا وجود لها في شيء من كتب السنة.

٧ ـ سَوْق الحديث من طريق صحابي يُسَمّيه بروايه جماعة من المحدثين، وهو عند بعضهم عن صحابي آخر أو أكثر.

٨ ـ عزوه الحديث لِمُخَرِّجِهِ ساكتاً عليه، مع أن مُخَرِّجه الذي نسبه إليه عقّبه بما يقدح في صحته.

٩ ـ عدم تتبعه أدلة المسائل، فكثيراً ما يسوق المسائل دون دليل يؤيدها، وأحياناً يحتجّ لها بالقياس، مع أنه يوجد فيها حديث صحيح، وتارة يستدل بالعموم، وفيها دليل خاص.

١٠ ـ عدم استقصائه مسائل الفصل مثل «الأغسال المستحبة» ونحوها.

١١ ـ إيراده في المسألة الواحدة أقوالاً متعارضة دون أن يُرَجِّح إحداها على الأخرى.

١٢ ـ اضطراب رأيه في بعض المسائل في المكان الواحد، فيختار في أول البحث ما ينقضه في خاتمته.

١٣ ـ ترجيحه من الأقوال والآراء المتعارضة مالا يستحق الترجيح؛ لضعف دليله، وقوة دليل مخالفه.

١٤ ـ مخالفته الحديث الصحيح الذي لا مُعارِضَ له من الحديث في غير ما مسألة.

وهذا النوع الأخير من أنْكَرِ ما وقع للمؤلف، فإنه لا يتفق في شيء مع توجيه المؤلف في الكتاب الناسَ إلى الأخذ بالسنة، ولاسيما إذا عرفت أن عذره في المخالفة المشار إليها هو عدم أخذ الجمهور بالحديث في بعض المسائل، أو عدم علمه بمن عمل به في مسألة أخرى، وهذه هي شبهة المقلدين في ردِّ السنن ومحاربتها، وسيأتي كلام الإمام الشافعي الذي يبطل هذه الشبهة ويستأصل شأفتها جزاه الله خيراً.

وقد يكون من نافلة القول أن أذكر أنني لا أريد بالتعليق على الكتاب وبيان أخطائه أن أحُطَّ من قدره شيئاً، أو أبخس من حقه، بل إنما أريد الانتصار للحق بالحقِّ، وصيانة «فقه السنة» عن الخطأ ما أمكن فإنَّ ذلك أدعى لإقبال الناس عليه والاستفادة منه، وأحرى أن يقطع ألسنة خصوم الفكرة عن التكلم فيه؛ بحق أو بباطل. فلعل المؤلف ـ زاده الله توفيقاً ـ يعيد النظر

فيما كتب حتى الآن ويصحح الأخطاء التي تبينت له، ويتريث في إصدار أجزاء الكتاب الأخرى[1]، إلا بعد أن يتبين من صحتها وسلامتها من الأخطاء ويجردها من الأحاديث الضعيفة، فإن في الصحيح ما يغني عن الضعيف.

هذا، وإنني لما بدأت في التعليق على الكتاب ترددت في طريقة نقلي لكلامه أأنقله برمته أو بغالبه الذي يدل عليه، أم أكتفي بنقل طرفه الأول الذي يشير إلى تتمته كما هي العادة في التعليقات؟

فأخذت الطريقة الأولى، وهي وإن كانت تستلزم شيئاً من التكرار بالنسبة لمن عنده الأصل «فقه السنة»، فإنه أكثر فائدة ووضوحاً لمن ليس عنده الأصل؛ لأنه يستطيع أن يفهم الكلام المنتقد، والحديث المُضَعَّفَ ونحو ذلك دون أن يرجع إلى الأصل، وقد سميته:

«تمام المِنَّة في التعليق على فقه السنة».

والله تعالى أسأل أن يجعله خالصاً لوجه الله الكريم، وأن ينفع به النفع العميم؛ إنه سميع مجيب.

* * *

---

(١) كتب هذا قبل صدور الكتاب كاملاً بأجزائه الكبيرة.